مقدمة

يشغل أدب مصر الإسلامية فترة زمنية تبدأ من الفتح الإسلامى لمصر سنة ٢١ هـ مروراً بعصر الولاة، فعصر الدولة الطولونية ٢٥٥ هـ، فالدولة الإخشيدية، فالفاطمية فالدولة الأيوبية، فعصر المماليك، ثم العصر العثمانى، ويفتقر أدب مصر الإسلامية إلى الدارسين له فى كل تلك العصور؛ وذلك لانصراف أكثر الدارسين إلى دراسة الأدب العربى فى عصوره المختلفة، فقسموه تقسيمًا زمنيًا بدءًا من العصر الجاهلى فالإسلامى فالأموى فالعباسى، حتى سقوط الخلافة العباسية على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ، ومن أشهر تلك الدراسات ما قام به الأستاذ الدكتور شوقى ضيف من دراسات للأدب العربى تبعًا للعصور، مثل العصر الجاهلى - العصر الإسلامى - العصر الأموى - العصر العباسى الأول - العصر العباسى الثانى - عصر الدول والإمارات.

وتناول فى تلك الدراسات مصر والشام، كما كتب عن الأدب الأندلسى.

وبذلك يكون تقسيم أستاذنا الدكتور شوقى ضيف للأدب زمنيًا، رغم أنه تناول تناول عنصر المكان، ولذلك كتب عن مصر والشام والأندلس.

وهذا يرجع إلى أن فكرة الأدب العربى الواحد قد نجد من يدافع عنها، من خلال إنكار الشخصية الإقليمية، على أساس أنها دعوى تفتت وحدة العرب التى قامت على أساس وحدة اللغة والدين والتاريخ والثقافة والحضارة، فهذه الإقليمية تكرس الدعوة إلى الانفصالية وإضعاف وحدة الأدب العربى، مما لا تشهد به فى رأى هؤلاء - حركته المتشابهة فى الأقاليم العربية المختلفة، لكن الإقليمية كمنهج لدراسة الأدب "عمل" علمى يهدف إلى الكشف عن خصوصية الأدب الإقليمية العربية الأخرى، فى الدعائم التى

قامت عليها جميعًا من وحدة الدين واللغة والثقافة؛ إذ تؤلف الإقليمية - بتنوعها - وحدة الأدب العربى الشاملة[1].

كذلك لا يعنى مفهوم الشخصية المصرية انغلاقًا وتشبثًا إقليميًا بالمصرية إزاء العروبة، ولا يترادف مع الفرعونية انسلاخًا من القومية العربية، أو دعوة انفصالية تجعل الولاءات الوطنية أو روح القومية فى وجه الولاء القومى العربى الكبير أو على حسابه[2].

ويشير د/ عوض الغبارى إلى أن صوت جمال حمدان يلتقى مع صوت أمين الخولى حول مفهوم الشخصية الإقليمية، وإن اختلف ميدان كل منهما. ففى ميدان دراسة الأدب المصرى يدعو أمين الخولى إلى "تحرير الدراسة لأدبية من رق التقسيم الزمانى، ويجعل هدفه الأول تطبيق إقليمية الأدب العربى فيرى أن يعدل دارسو الأدب العربى عن دراسته على أساس العصور التاريخية، ويعتقد أن هناك أثرًا قويًا لكل بيئة فى الأدب العربى، وأن أساس الأدب العربى يجب أن يكون هو اختلاف البيئة وتغايرها فى الأقطار العربية، ووحدة المؤثرات المادية والمعنوية فيها، بحيث تفرد كل بيئة متجانسة بدرس خاص، لا كل قطعة من الزمن ببحث.

فقد رأى أمين الخولى أن الاتجاه إلى دراسة الأدب العربى على الأساس الزمانى بين اتجاهًا عربيًا أصيلا. بل نحا الدارسون العرب فيه منحى للغربيين فى دراستهم للأدب العربى، ودعا إلى إصلاح هذا الخطأ الذى حدا بأصحاب هذا المنهج التاريخى إلى تسليط الضوء على حركة الأدب العربى، مقصورة على مراكز الحكم السياسى فى الشام والعراق، وإهمال ذلك فى البيئات الأخر كمصر والأندلس وغيرها.

---

(١) د/ عوض الغبارى - دراسات فى أدب مصر الإسلامية - الثقافية العربية ٢٠٠٣ م ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق نقلا عن شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠ جـ ١ ص ١٧.

إن أساس إقليمية الأدب عند أمين الخولى هو أن لكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التى تنفرد بها بين الأقاليم، وتلك المزايا والخصائص هى التى توجه الحياة الأدبية فيها، وتؤثر فى سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الأقاليم الأدبية، ويختلف نظام سيرها من نشأة وتدرج وتفرع[١].

ويتأكد اتفاق جمال حمدان مع أمين الخولى حول فكرة مشروعية الدرس الإقليمى دون خلط بين الإقليمية والعروبة؛ حيث يرى أمين الخولى أن العناية بالإقليمية لا تناهض الإسلام أو العروبة، وما لهما من أثر لا ينكر فى دمج الشخصية العربية بخصائص ثقافية وأدبية مشتركة[٢]. فالإسلام رسالة حضارية ودعوة إصلاح اجتماعى عام، وانتماء مصر إلى الإسلام لا شك فيه، ولن تغرى الإقليمية بالانفصام الذى يهدد أمل وحدة العرب؛ لأنها تستند إلى أصول البحث العلمى الذى يهدف إلى حل المركب إلى بسائطه، دون جور منهجى على كليهما. إن هذه الوحدة المركبة فى رأيه لن يضيرها أن يشعر كل جزء من أجزائها، وكل جانب من جوانبها بوجوده وذاته وشخصيته، فيكون بذلك جزءًا أو عنصرًا نافعًا مجديًا على الوحدة التى يدخلها[٣].

فالأدب المصرى أدب عربى لا شك فى ذلك، واللغة العربية الأولى والأدب العربى الأول فى الجزيرة هما منبع الآداب الإقليمية فى كل صورة من صورها، فلا اتصال مطلقًا بين مصرية الأدب وفرعونية مصر؛ بحيث تهدر فيها فيها الجانب العربى أن ننكره، إنما ندرس هذه المصرية الأدبية فى صورتها العربية ودورها الإسلامى، ومع هذا القصور فى ميدان دراسة الأدب المصرى

---

(١) د/ عوض الغبارى دراسات فى أدب مصر الإسلامية. ص ٣١.

(٢) المرجع السابق ص ٣١.

(٣) المرجع السابق ص ٣١ - ٣٢.

فقد ظفر هذا الميدان بجهود طائفة من أهم دراسيه، كمحمود كامل حسين نصار وعبد اللطيف حمزة ومحمد زغلول سلام وإبراهيم الدسوقى جاد الرب وعوض الغبارى وغيرهم، ممن قدموا دراسات فى الأدب المصرى تصلح أن تكون محكًا لمناقشة قضية شخصية الأدب المصرى فى تجلياته الإقليمية.

أشار د/ حسين نصار إلى اعتداد ابن سلام الجمحى بأثر البيئة فى الشعر قلة وكثرة، ورداءة وجودة، فقد كان كتابه "طبقات فحول الشعراء" أول كتاب فى تاريخ الأدب يلتفت إلى أثر البيئة فى الشعر، كما أشار أيضًا إلى التفات على بن عبد العزيز الجرجانى إلى أثر البيئة بادية وحضارة فى الأذواق والأسلوب الشعرى، وأنه وازن بين عدد من الشعراء للبرهنة على صحة ما أدلى به من أحكام، بل اختار شعراء جاهليين وإسلاميين لهذه الموازنة؛ ليبين أن أثر المكان أقوى من أثر الزمان[1].

كما أشار إلى كتابى الباخرزى (دمية القصر وعصرة أهل العصر) وابن بسام (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) نموذجين آخرين للكتب التى تعتمد الأساس البيئى فى دراسة الأدب.

وأظهر كتاب اتخذ مؤلفه من التقسيم البيئى أساسا لدراسة الشعر هو كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبى، فى أقسام أربعة هى:

١ - محاسن أشعار آل حمدان (من أهل الشام وما جاورها من مصر والموصل والمغرب).

٢ - محاسن أشعار أهل العراق.

٣ - محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان.

٤ - محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر.

---

(١) د/ عوض العبارى دراسات فى أدب مصر الإسلامية. ص ٦٩، ٧٠.

وانطلاقًا من الرأى المؤيد لحتمية أثر البيئة فى شعر الشعراء تم عمل هذا البحث "التشبيه فى شعر ابن وكيع التنيسى". وترجع أهميته إلى ما تميز به هذا الشاعر - الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى - من وفرة المجاز، خاصة التشبيه الذى اخترته موضوعًا للبحث.

ينقسم التشبيه فيما تبقى من شعر هذا الشاعر - من حيث الأركان إلى ثنائى الأركان وثلاثى الأركان وربعى الأركان. ومن العجيب أن يكون التشبيه ثلاثى الأركان أكثر عددًا من غيره، يليه الرباعى، يليهما الثنائى، مع أن الوضع بعد العصر الفاطمى تحول إلى أن صار الرباعى نادرًا، وكثر الثنائى والثلاثى، وذلك على أساس تشجيع النقاد للشعراء الذين أكثروا من التشبيه الثنائى "البليغ"، وسر بلاغة التشبيه البليغ عندهم ما فيه من إيجاز ومبالغة، لكن هذا متوقف على القيمة للأداء الأدبى جملة، فلن يشفع التشبيه البليغ للكلام الردىء، كما لن يحط التشبيه الثلاثى أو الراعى الأركان من شأن الكلام الجيد، وقد قال الحق سبحانه وتعالى فى محمد ﷺ وأصحابه: ﴿...ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ...﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ...﴿٥﴾﴾ [الجمعة]. فهناك تشبيهات بلغت الذروة من القيمة الفنية، ولم يحط من شأنها وجود أداة فيها أو وجه شبه، أو أداة ووجه شبه معًا، وهناك تشبيهات "بليغة" أى ثنائية الأركان، وهى من الكاكة والرتابة بحيث لا يؤبه بها، بل لا يلتفت إليها.

والطريف أن هذا الشاعر لم يمدح أحدًا فى ما وصلنا من شعره، ولعل هذا يؤكد أنه كان ميسور الحال، كما أكد ذلك أستاذنا الدكتور حسين نصار من مقدمة كتابه عن ابن وكيع التنيسى، بالإضافة إلى تأكيد الباحث محمود الحنفى ذهنى فى رسالته "ابن وكيع التنيسى شاعرًا"، فقد ندر جدًا شعره من غير الطبيعة والخمر والغزل، وقد تضمن هذا البحث خمسة فصول: